طريق الحجِّ بغرب إفريقيا: قراءة تاريخيَّة في الأثر الحضاريِّ لرحلة الحاج عمر الفوتي

د. آدم بمبا

مستخلص

هذه الورقة محاولةٌ لاستجلاء الأثر الحضاريِّ لطرق التِّجارة الحجيَّة بغرب إفريقيا في المجال السِّياسيِّ تحديدًا. لبلوغ هذا الهدف المنشود، فإنَّ هذه الورقة قد اعتمدت منهجًا تاريخيًّا في استعراضها لتلك الطُّرق التي تُصنَّف إلى: طُرُق ساحليَّة وصحراويَّة، ومن ثَمَّ استعراض رحلة الشَّيخ الحاج عمر بن سعيد الفوتي (ت1864م)، عبر الطَّريق الصَّحراويِّ، وما نتج عن سلوكه هذا الطَّريق –بعينه– من مردودٍ حضاريٍّ في بَلْوَرَة الرُّؤية التَّصحيحيَّة الدِّينيَّة والسِّياسيَّة عنده، وفي قيام الإمارة الإسلاميَّة التي أسَّسها بعد جوازه في رحلته على الممالك والكيانات الإسلاميَّة العظمى آنذاك من سنيغامْبيا حتى بحيرة تشاد فمصر فالحجاز فالشَّام. عليه، فقد تبيَّن في هذه الورقة أنَّ طريق الحجِّ الإفريقي بصنْفَيه: السَّاحلي والصَّحراوي، قد اضطلع بأثرٍ حضاريٍّ فعَّال على امتداد التَّاريخ الإسلاميِّ ببلاد السُّودان الغربيِّ، وأنَّ إمارة الشَّيخ عمر الفوتي كانت مَعْلَمًا من تلك المعالم الحضاريَّة بالقارة؛ إذْ عُدَّت ثانية الحركات الجهاديَّة الثَّلاث العظمى بالقارَّة: الجهاد الصُّكتي، والجهاد العُمَري الفوتي، والجهاد الماسْنَوي.

كلمات مفتاحيَّة: طرق الحج، طرق تجاريَّة صحراويَّة، بلاد السُّودان، عمر الفوتي.

The West African Hajj Routes: A Historical Reading in the Civilizational Role of Al-Hajj Umar Tall's Journey

Dr. Adama Bamba

Senior Visiting Lecturer, Academy of Islamic Studies, University of Malaya – Malaysia

ABSTRACT

This paper is an attempt to elucidate the civilizational impact of the trade-hajj routes in West Africa particularly at the political level. In order to achieve this objective, this paper has adopted a historical methodology on the trade-hajj routes that are categorized as: Sahelian and Saharan. Then the pilgrimage journey of Sheikh al-hajj Umar ibn Said al-Futi (d. 1864) was chosen as a sample to evaluate the civilizational impacts of the hajj routes on his religious-political and revivalist thoughts; combined with the effects of his hajj itinerary on the rise of the Islamic Emirate that he established after his trip. This is due to the fact that he passed through the then great African Islamic emirates stretching from Senegambia to the Lake of Tchad. In this regards, the current paper has found that the African

hajj routes have had a great impact on *Bilad Sudan* throughout the Islamic history. Also, the emirate of al-hajj Umar has been a landmark in Africa; being the second of the greatest three jihad movements, namely: The Sokoto, the Umarian, and the Masina Jihads.

مقدِّمات: طرُق الحجِّ

لم تختلف طرق الحجِّ الإفريقيَّة عن مثيلاتها في آسيا (طريق الحرير مثلاً)، من حيث نشأتها وتطوُّرها، وذلك بكونها طرقًا تجاريَّة قديمة، سبق ظهورُها ظهورَ الإسلام وانتشاره ولم يكن الإسلام إلا عاملاً حضاريًّا جديدًا وسَّع وظائف تلك الطُّرق كمًّا وكيْفًا عبر شعيرة الحجِّ وغيرها من الظَّواهر الدِّينيَّة والحضاريَّة المرتبطة بالإسلام. (ينظر: الخريطة رقم١ آخر الورقة).

تحديدًا، فإنَّ نشأة الطُّرق والقوافل التِّجاريَّة بين جانبي الصَّحراء الكبرى بإفريقيا، بتأكيد الباحثَيْن موني ولهوتْ (Mauny & Lhote)، تعود إلى ما قبل الألفيَّة الأولى قبل الميلاديين. ويُصنِّف الباحثون الطُّرق التِّجاريَّة – الحجيَّة التي نشأت عن تلك التِّجارة القديمة من حيث تموقُعها إلى مجموعَتَين: طرق ساحليَّة غربيَّة (Sahelian Routes)، وطرق صحراويَّة (Saharan Routes). (Collins, R.1993:297).

(١) **الطُّرق السَّاحليَّة:** وهي الطُّرق الموازية للمحيط الأطلسي تقريبًا، وتمتدُّ من منطقة سنيغامبيا إلى المغرب، ومنها تمتدُّ على سواحل البحر الأبيض حتى مصر. ومن أهمِّ طرُقها ما يُعرف بالطَّريق الغربي وهو الممتدُّ من المغرب عبر زمُّور وأدرار إلى الضَّفة السِّنغالية وحوض النِّيجر.

(٢) **الطُّرق الصَّحراويَّة:** وهي الطرق التي تخترق الصَّحراء الكبرى إلى ليبيا الحاليَّة، وصولاً إلى مصر، أو إلى جمهوريَّة السُّودان الحالية، مرورًا بمنطقة دارفور فمنطقة بورتسودان، وتعدُّ الطُّرق في هذا الجانب أكثرها حداثة، ولكنْ أكثرها تأثيرًا في السِّياسة والاجتماع. ومن أهمِّ طرقها ما يُعرف بالطَّريق الأوسط، ويمتدُّ من طرابلس عبر غدامس، والغات، والهقار، وصولاً إلى غاوْ عند نهر النِّيجر. ويُعرف أيضًا بالطَّريق الغرامانتي (Garamantian Route)، وهو الطَّريق الممتدُّ من طرابلس إلى فزان، فبورنو. وتحت كلٍّ من هاتين المجموعَتَين طرقٌ متفرِّعةٌ موصلة بين الحواضر التِّجاريَّة القديمة.

تفيد المصادر التَّاريخيَّة أنَّ الطُّرق الصَّحراويَّة قد ظهرتْ حوالي القرن الثَّامن قبل الميلاد، بفعل اعتماد الجمال في الأسفار الصَّحراويَّة على أيدي الرُّومان الطَّرابلسيِّين، وكذلك بفعل رغبة القرطاجيِّين في الاستحواذ على حركة التِّجارة. يقول بوهينْ في ذلك: "لقد نشط القرطاجيُّون في التِّجارة عبر الصَّحراء الكبرى؛ ليقطعوا بذلك كلَّ الوساطات التِّجاريَّة، وليُسَيْطِروا مباشرةً على الموارد الغنيَّة التي كانوا يتاجرون من أجلها".(Adu, Boahen. 1962:1,349-359)، ومن تلك الموارد الغنيَّة الرَّائجة في التِّجارة الصَّحراويَّة منذ حوالي القرن الخامس قبل الميلاد: جلود الحيوانات، والأحجار الكريمة، والزُّمرد، والعقيق الأزرق.

هذا، وبلغت الطُّرق التِّجاريَّة الأساسيَّة والمتفرِّعة عنها أوْجَها في النَّشاط التِّجاريِّ في حدود القرن الثَّالث عشر الميلاديِّ ببلوغ الكيانات السِّياسيَّة السُّودانيَّة شأوًا كبيرًا من الاستقرار والتَّنظيم، مثل إمبراطوريَّة صونغاي، وبورنو وسائر ممالك هَوْسا. يُضاف إلى ذلك تنامي العلاقات الثَّقافيَّة والدِّينيَّة والاجتماعيَّة التي تبعت انتشار الإسلام بالممالك الإفريقيَّة.

أمَّا في العصور الوسطى حتى القرن التَّاسع عشَرَ الميلاديِّ، فقد ظهرت بمنطقة غرب إفريقيا أربعة طرقٍ تجاريَّة–حجيَّة كبرى، هي:(Collins, *op.cit*)

(١) **طريق تمبكتو – تاوديني – المغرب:** وكان يتفرَّع عنه طريقٌ آخر في الجهَّة الغربيَّة، ذو أهميَّةٍ من النَّاحية التِّجاريَّة والثَّقافيَّة، وهو الطَّريق الذي يمتدُّ من مبروك، إلى توات. وتأتي الإشارة إليه في المصادر بـ"طريق توات"، سلكَهُ مانْسا موسى في رحلته للحجِّ. (السعدي، تاريخ السودان، ٢٩٤).

(٢) **طريق كانو – آيْر – غدامس:** واكتسب هذا الطَّريق أهمِّيته التِّجاريَّة بما كانت تتمتَّع به المدُن–الممالك ببلاد الهوسا، من ريادةٍ تجاريَّة، واستحواذٍ على طرق التِّجارة، فكانت مدينة كانو –مثلاً– تتميَّز بوصفها مدينةً صناعيَّة في القرنين الحادي عشَرَ والثَّاني عشَرَ الميلادي، واشْتَهَرت بالصِّناعات اليدويَّة، كصناعة الأقمشة، وصهر النُّحاس والحديد، وغيرها. كذلك، كانت مدينة زاريا تتبوَّأ الصَّدارة في غضون القرنَين الثَّامن عشَرَ والتَّاسع عشَر الميلادي في تجارة الرَّقيق، وتبادل الأسلحة النَّاريَّة والخيل، وذلك بفضل تَموْقعها بين منطقة نهر بِنُوي (Benue River) وبين بورنو وليبيا حيث كانت أسواقُ الرَّقيق رائجة. (Asante, M. 2007:232–234)

بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ قيام الحركة الجهاديَّة الصُّكتية، وإنشاء عاصمَتَيْ صكتو وغُوانْدو، كان من الأسباب المباشرة في إنعاش الحركة التِّجاريَّة عبر طريق: غدامس – آيرْ – كانو، وجَعْلِه أهمَّ طريقٍ في القرن التَّاسع عشر الميلادي، وقد مرَّ عبر هذا الطَّريق معظم الرَّحالة الأوربيِّين، وأثنوا على الأمن المستتبِّ به، من أولئك: ريتشاردسون (Richardson)، وهنريث بارث (H. Barth)، ودوفيرير (Duveyrier).

(٣) **طريق بورنو – فزَّان – طرابلس:** في الجزء الأوسط. وهو أكثر الطُّرق نشاطًا في الرِّحلات الحجيَّة.

(٤) **طريق وداي – كُفرا – سيرنايْكا** (Cyrenaica) أي بُرقة: وهو الطَّريق الشَّرقي. تعود نشأة هذا الطَّريق وانتعاش التِّجارة به إلى نشوء الطَّريقة السَّنوسيَّة على يد الشَّيخ السَّيد محمد بن علي السَّنوسي (ت١٢٧٦هـ/١٨٥٩م)، وقد كانت للزَّوايا التَّابعة للسَّنوسيَّة في معظم مدن السُّودان الغربي، مثل وداي، وكانم، وكانو، وزنْدرْ، وتمبكتو أثرٌ مباشرٌ في تنامي الحركة العلمية والثَّقافيَّة وكذلك الحركة التِّجاريَّة على هذا الطَّريق ابتداءً من أواسط القرن التَّاسع عشر الميلادي.

هناك طريقٌ آخر، أكثر شهرةً، كان يبدأ من بلاد دارفور، ويُعرف بـ"درب الأربعين"، ويقع في الصَّحراء الغربيَّة لمصر، رابطًا مدينة الفاشر في دارفور بمنطقة أسيوط في حوض النِّيل، وهو طريقٌ قديم ظهر منذ عصر الرُّومان، في تجارة الذَّهب، وريش النَّعام، والعاج، وجلود الوحوش، والعبيد. وقد ظلَّ هذا

الطَّريق مستعملاً حتى أوائل القرن العشرين، وانضمام دارفور إلى جمهوريَّة السُّودان. وسُمِّي بهذا الاسم لاستغراق السَّفر عبره حوالي أربعين يومًا.(Matthew D. 2008:333)

هذا، وكان أهمُّ تلك الطُّرق –بتأكيد الباحث بوفيل (Bovill)، الطَّريق الأول تغازة/ تاوديني؛ لريادته في تجارة الذَّهب، وفي التَّبادل الثَّقافي.,.Collins, Op. Cit) (299 ؛ إذْ كانت العلاقة بين المغرب وبين ممالك السُّودان الغربي علاقةً نشطةً تجاريًّا وثقافيًّا وسياسيًّا، وقبل ذلك فإنَّ الإسلام قد انتشر بتكرور، أوَّلَ ما انتشر، من الرَّوافد المغربيَّة، وفي عصر ازدهار حواضر تمبكتو وجيني، فإنَّ تلك الحواضر كانت حافلةً بالفقهاء المغاربة، وقد جاء تأكيد ذلك في أكثر من مصدرٍ تاريخيٍّ، منها روايات ابن بطوطة. وقد كان العلماء خاصَّةً، يتخيَّرون هذا الطَّريق المغربيَّ، ويسمُّونه: (طريق فاس)، للحجِّ؛ ليرتادوا المراكز العلميَّة، والخلاوي التِّيجانيَّة بفاس ومراكش، والقيروان، وتلمسان، ومن ثمَّ ينخرطون مع ركب الحجِّ المغربيِّ إلى البلاد المقدَّسة. هذا على الرُّغم من بُعد المسافة، وهي بين المغرب والحجاز حوالي خمسة آلاف كيلو متر، وكانت رحلة الحجِّ تستغرق عبر هذا الطَّريق أكثر من عامٍ كاملٍ ذهابًا وإيابًا، هذا بشرط ألاَّ يمكث الحاجُّ أكثر من الضَّروريِّ في أيٍّ من المحطَّات على الطَّريق.

تجدر الإشارةُ إلى أنَّ الطُّرق السَّاحليَّة من بلاد السُّودان إلى المغرب كانت أوَّل الطُّرق ضمورًا واضمحلالاً، وكان السَّبب المباشر في ذلك سقوط إمبراطوريَّة صونغاي إثر الغزو المغربيِّ (١٥٩١م)، وإخفاق المغاربة في السَّيطرة على الوضع الأمني أو التِّجاريِّ. يُضاف إلى ذلك حالة الفوضى والحروب المتعاقبة التي نشبت بين دُوَيلات المنطقة: الفولاني، والطَّوارق، والبَمبارا، في ظلِّ الفراغ الأمنيِّ والسِّياسيِّ الذي أحدثه الغزو المغربيُّ لصونغاي.

أيضًا، فإنَّ ضمور الحركة التِّجاريَّة والرِّحلات الحجَّية عبر الطُّرق الأخرى بشكلٍ شبه نهائيٍّ، في أواخر القرن التَّاسع عشر يعود إلى تدخُّل القوى الاستعماريَّة الأوربيَّة في التِّجارة الإفريقيَّة باستعمال السُّفن البخاريَّة العملاقة على الشَّواطئ الغربيَّة على المحيط الأطلسي، وبمدِّ بعض الخطوط الحديديَّة، وتعبيد طرقٍ داخليَّة جديدة بين المراكز التِّجاريَّة الكبرى، وكذلك إنشاء مدنٍ جديدةٍ على الشَّواطئ الأطلسيَّة أدَّى وجودها إلى ضمور المدن والحواضر التِّجاريَّة الدَّاخلية القديمة، والطُّرق الموصلة إليها.

ويظهر في تتبُّع شذرات من الإشارات في الكتب التَّاريخيَّة أنَّ الحجاج كانوا يسلكون الطُّرق الصَّحراويَّة، أي طريق طرابلس أو غيرها من الطُّرق الوسطى في طريق العودة؛ ذلك لقِصَرها ولعدم حاجتهم إلى العودة إلى المغرب. وقد صرَّح المؤرِّخ أحمد الشكري بذلك بقوله إنَّ "الطَّرق التي تأخذها الرِّحلة الحجِّيَّة السُّودانيَّة مغايرةٌ لتلك التي تأخذها في أثناء العودة". (الإسلام والمجتمع السوداني، ٢٣٤) على سبيل المثال، إنَّ مقتل ملك مالي ساكورا بالقرب من طرابلس وهو عائدٌ من الحجِّ، واستقرار الفقيه القاضي محمود بن آقيت بكانو بضع سنين عند قفوله من الحجِّ، يعني أنَّ كلاًّ منهما قد سلك إحدى الطُّرق الأوسطيَّة، وهو إمَّا طريق كانو أو طريق بورنو، وسلَكَهُ أيضًا مانسا موسى. (السعدي، تاريخ السودان، ٧)؛ لكنَّه –عند قفوله من الحجِّ– سلك الطَّريق الصَّحراوي عبر غدامس.

المحور الأول: طرق الحجِّ والمفعول السِّياسي بغرب إفريقيا

لرحلات الحجِّ مفعولٌ تغييريٌّ حضاريٌّ واضحُ المعالم في الحياة الإفريقيَّة منذ المراحل الأولى للحضور الإسلاميِّ بإفريقيا، ويشمل هذا المفعول النَّواحي الثَّقافيَّة، والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، وهذا الأخير هو محور الاهتمام في الفقرات الآتية.

بهذا الصَّدد، فإنَّ من أوائل الآثار التَّغييريَّة الحضاريَّة الأولى لرحلات الحج وطُرُقها يمكن تلمُّسها في الدَّولة الصَّنهاجيَّة، ورحلات بعض زعمائها منذ القرن الحادي عشر الميلادي، من ذلك: رحلة محمد ترشنة اللمتوني، ورحلة يحيى بن إبراهيم (٤٢٧هـ/١٠٣٥م)، زعيم بني جُدالة، حين التقى الفقيه أبا عمران الفاسي (ت٤٣٠هـ)، بالقيروان، وسأله الفقيه عن بلاده، وعن مذهب أهله، وعادات النَّاس وتقاليدهم، ووجد عنده سطحيَّة في الفقه، ولكنه ذو رغبة في التَّحصيل، وبعدها طلب الجدالي إمدادَه بعالمٍ يفقِّه قومه، وأسفر اللِّقاء –فيما بعدُ– بينه وبين عبد الله بن ياسين (ت١٠٥٩م)، عن قيام حركة المرابطين بالصَّحراء الغربية.(John, R. 1979 :84)

كذلك، نجد الآثار السِّياسيَّة لرحلات الحجِّ بغرب إفريقيا في الممالك الأولى ذات الصِّبغة الإسلاميَّة، في حرص ملوكها على أداء الحجِّ، على الرُّغم من بُعد الشُّقة، والمخاطر الأمنيَّة الدَّاخليَّة والخارجيَّة المحتملة، ولعلَّ أقدَمَ رحلةٍ ملوكيَّة معروفة بمملكة مالي بهذا الصَّدد، هي رحلة "برمندانة" (عام٤٤٢هـ). ذكرها ابن خلدون رابطًا بين الظُّهور المبكِّر للإسلام بمالي، وبين الحجَّات الملوكيَّة. قال: "ودخلوا في دين الإسلام منذ حينٍ من السِّنين، وحجَّ جماعةٌ من ملوكهم، وأوَّل من حجَّ منهم بَرَمِنْدانة... وسبيله في الحجِّ هي التي اقتفاها ملوكهم من بعده". (ابن خلدون، ١٩٨١: ٤٣٣/٥) فصرَّح بأنَّ الحجَّ غدا تقليدًا "ملوكيًّا" في هذه المملكة. ومن ملوك مالي الحجَّاج بعد برمنْدانة: مانْسا وُولي الذي حجَّ أيام الملك الظاهر بمصر، والملك ساكورة حجَّ أيام الملك النَّاصر بن قلاوون، ومانسا كانكو موسى (حجَّ ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، وتعدُّ رحلته أشهر الرِّحلات الحجيَّة الملوكيَّة بإفريقيا قاطبة. (المرجع السابق، ٤٩٧/٥). أيضًا، من الرِّحلات السُّلطانيَّة بإمبراطوريَّة صونغاي، حجَّة أسكيا الحاج محمد (٩٠٢هـ/١٤٩٥م).

بالمثل، فإنَّ سلاطين كانم وبورنو قاد حازوا قصب السَّبق، واحتلُّوا مكانة الرِّيادة في الرِّحلات الحجِّيَّة. ولعلَّ ذلك لقُربهم النِّسبي من الحجاز، فالسُّلطان دونمة بن حمى (٤٩٠هـ/١١٩٤م) قد حجَّ ثلاث مرات، والسلطان مايْ علي بن الحاج عمر (ت١٦٨٠م)، حجَّ خمس مرات. (نفسه، ٤٩٦/٥).

هذا، ولم تنقطع هذه "السَّيل الحجِّيَّة" منذ عهد برمندانة، حتى وقتٍ متأخِّر في الممالك والسَّلطنات الإسلاميَّة بغرب إفريقيا، في القرن التَّاسع عشر. فعن سلاطين الهوسا في بَوْش شماليَّ نيجيريا مثلاً، يقول المؤرِّخ السُّلطان محمد بللو: "وقد حجَّ من سلاطينهم كثيرون وتظاهروا بالخير، وإقامة الحدود والشَّريعة في أوائل أمرهم، وبقيت آثار الإسلام فيها كثيرًا". وعن منطقة باغِرْمِ يقول: "وقد فشا فيه الإسلام كثيرًا، وأكثر أهل هذا القُطر حجَّاج، وزعموا أنَّهم يكرمون الحجَّاج، ولا يتعرَّضون للطَّريق". وعن منطقة فوتا في أقصى غرب إفريقيا يقول: "وكان أهلُ هذه البلاد أكثر حجَّاجًا على بُعدهم، وهو إقليمٌ

ظهرت فيه البركة، وكان فيه علماء مهتدون". (إنفاق الميسور :نسخة إلكترونية)؛ فربط ههنا بين الحجِّ وبين الإصلاح السِّياسيِّ عند أولئك، وظهور الخير والبركة في ممالكهم.

المحور الثَّاني: إصلاحاتٌ إداريَّة سياسيَّة

لقد كانت طرق الحجِّ الإفريقيَّة وسيلةً لإمداد بلاد السُّودان بالكثير من أوجه الإصلاح والتَّجديد في أنظمة الحكم، وتنظيم شؤون الدَّولة، وذلك في حرص الأفارقة على التَّشبُّه بالمشرق، وبأرض الحرمَين في أدقِّ تفاصيل الحياة الدِّينيَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة.

بهذا الصَّدد، تظهر الإصلاحات الدَّاخليَّة التي أحدثتها رحلات الحجِّ في الإصلاح الإداريِّ الذي كان يحرص عليه كلُّ سلطانٍ حاجٍّ بعد عودته من الحجِّ، ولعل أوَّل مظاهر هذا الإصلاح العناية بشؤون الحجِّ نفسه. وعلى الرُّغم من عدم توافُّر معطياتٍ تاريخيَّة دقيقة في هذا المجال، فإنَّ إشاراتٍ مبثوثةً يمكن جمعها والتَّأكيد أنَّ نوعًا من التَّنظيم قد وُجِد منذ عهد مملكة مالي، وإمبراطوريَّة صونغايْ.

على سبيل المثال، يُذكر أنَّ خروج الموكب السُّوداني للحج كان حفلاً مشهودًا يحضره الأسكيا والقضاة، وعلماء البلد، وتنشد خلاله الأناشيد، وقصائد المديح النبويِّ، وتضرب الطُّبول، وتقرأ الأدعية. (Diop, C. A. 1952: Ch2). وكان خروج القاضي محمود بن عمر آقيت للحجِّ عام (٩١٥هـ/١٥٠٩م)، مع مجموعة من العلماء يوماً مشهودًا، في موكبٍ أشبه بخروج الملوك، حضر أسكيا وداعَه، وعمَّت الأفراح سائر بلاد صونغاي. فهذه المواكب لا تكون إلاَّ بإعدادٍ مسبقٍ، ومسؤوليَّات إداريَّة محدَّدة منوطة بأفراد.

أمَّا عن سلاطين سَيْفاوا، فالأمر أكثر جلاءً وأوضحُ مما هو عليه بصونغاي؛ إذ بلغ تنظيم شؤون الحج على أيدي أولئك مرحلةً معتبرة من التَّنظيم والإشراف، وكان يُشرف عليها "مطوَّفون" رسميُّون يُعرفون بـ"*Madugu*"، (رئيس القافلة) و"*Ubandawaki*"،أي (قائد الفرسان)، و"*Jagaba*"، (الدَّليل) بالهوسا. (M. D. Sulaiman, 2001:112) ومن مشاهير أولئك الشَّيخ الشَّريف إبراهيم البرناوي، ويلقب بـ"أمير الحج".(Ivor W. 1995, 67, 72, 109)

هذا، وقد ارتقت الإدارة التَّنظيميَّة للحج، وكذلك إدارة الشُّؤون الدَّاخليَّة للسَّلطنات المتأخِّرة والزِّعامات الإسلاميَّة بغرب إفريقيا، ومن أجْل الأمثلة في ذلك إمارة "ماسينا" بفوتاجالونْ، التي عُنيت عنايةً كبيرةً بشؤون الحجِّ؛ وذلك ببناء مساكن للحجَّاج بالعاصمة "حمدَ الله"، واقتطاع معوناتٍ مالية لهم، وتوفير الحماية العسكريَّة لركب الحجِّ حتى يصل خارج بلاد فوتا.(Johnson M. 1976:481-495)

كذلك، على المستوى الفردي، خاصَّة في بدايات القرن العشرين حتى منتصفه، فإنَّ الحجَّاج الذين أحدثوا تغييراتٍ اجتماعيَّة وسياسيَّة عميقة الأثر في مجتمعات غرب إفريقيا كثيرون. (M. C. 1962 :101) منهم الحاج عمر دالي بابا صاحب الدَّعوة الإصلاحيَّة في حوض السنغال. مكث بأرض الحرمين زهاء ثمانية عشر عاماً (١٩٢٢-١٩٤٠)، والشَّيخ الحاج سليمان دِيرَا، والحاج مماذُو سَانفو، ولهما الفضل في تأسيس الحركة التَّعليميَّة بمنطقة "كومبي سيري" في بوركينا فاسو الحاليَّة.(*Ibid.,97*) وحركة الشَّيخ الحاج محمود كرانْتَاوْ بين مجموعات كانْتوسي. حجَّ بيت الله، ثم زار بلاد الشَّام، وفي سوريَّة التقى بالشيخ القادريِّ عبد الرَّحيم الذي شجَّعه على إعلان الجهاد بين الوثنيِّين لدى عودته، وقد وُفِّق الشيخ في ذلك ببلدة (وَا، *Wa*)، وأسَّس إمارةً إماميَّة بها.(Launay, R. 2004:83) والسُّلطان

سعيد بن إبراهيما انْجُويا (١٩٤٧م)، وكانت إصلاحاتُه دينيَّة وإداريَّة حين وقف على بعض الممارسات بالأراضي المقدَّسة، منها تعليم البنات.(J. S. Trimingham. 1952:88) وغير أولئك من الحجَّاج المصلحين في القرن التَّاسع عشَرَ والنِّصف الأوَّل من القرن العشرين.

توسيع العلاقات الخارجيَّة

كانت طرق الحجِّ والرِّحلات عبرها قنواتٍ مباشرةً لخروج الكيانات السِّياسيَّة بإفريقيا عن دائرة العلاقات الضَّيِّقة المحدودة إلى علاقاتٍ واسعة، وبأطرافٍ متعدِّدة؛ لأنَّ المرور بالكيانات السِّياسيَّة بين بلاد السُّودان حتى الحجاز، كان يستلزم الدُّخول في علاقاتٍ دبلوماسيَّة مع تلك الكيانات في المغرب وتونس وطرابلس والقاهرة ودارفور وغيرها.

من أقرب الأمثلة فيما مضى، ما أورده المؤرِّخون من تعاونٍ علميٍّ وسياسيٍّ بين بلاد السودان ومصر حين أسَّس ملوك كانم وعلماؤها رواقاً خاصًّا بهم بالقاهرة، يعتنون فيه بشؤون الطلبة والعلماء القادمين من بلاد غرب إفريقيا، كما يعتنون فيه بشؤون الحجاج المارِّين بالقاهرة، وكان تمويله والإشراف عليه من قِبَل ملوك كانم وعلمائها. يذكر ذلك العمري (ت٧٤٩هـ) بقوله: "وقد بنوا بفسطاط مصر مدرسةً للمالكيَّة ووفودُهم تنزل بها".(العمري، ٢٠٠٢، ٩٧/٤)، وعن الإصلاح الدَّاخليِّ وتوسيع العلاقات الخارجيَّة بمملكة مالي إثْرَ حجَّة مانْسا موسى، يقول: "بنى به المساجد والجوامع والموذنَ، وأقام به الجُمَعَ والجماعات والأذان، وجلبَ إلى بلاده الفُقَهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وبقي بها سلطان المسلمين وتفقَّه في الدِّين...".(المرجع السابق، ١٠٧/٤).

مثل ذلك ما أعقب حجَّة أسكيا الحاج (٩٠١-٩٠٢هـ/١٤٩٦-١٤٩٧م)؛ إذ عاد زاعمًا أنَّ أمير مكَّة الشَّريف العباس قد عيَّنه خليفةً له على بلاد تكرور، وجعل على رأسه قَلْنْسوةً خضراء، وعمامة بيضاء، وألبَسَهُ حلَّة الخلافة، وحاز أسكيا بذلك لقب "الإمام العادل أبي اليتامى والأرامل والمساكين".[١]

المحور الثَّالث: طريق رحلة الشَّيخ عمر

كان للطَّريق الذي سلَكَه الشَّيخ عمر الفوتي في رحلته للحجِّ الأثر الواضح في المردود العلمي والسِّياسيِّ النَّاتج عن سلوك هذا الطَّريق دون غيره؛ ذلك أنَّ سلوكه الطَّريق الأوسَطَ الذي كان يخترق إفريقيا من غربيِّها إلى شرقيِّها، ويمرُّ عبر ممالك عدَّة، وشعوبٍ متفرِّقة، قد وضَعَهُ وجهًا لوجهٍ وفي علاقة مباشرةٍ مع الكثير من الزُّعماء والملوك والعلماء على امتداد هذا الطَّريق المسلوك.

وعلى الرُّغم من عدم توافُّر وصفٍ مباشرٍ لخارطة رحلة الشَّيخ عمر عبر الطَّريق العَرَضيِّ المذكور، فمن السَّهل تجميع الإشارات المبثوثة؛ لرسم مسارٍ واضح المعالم لرحلته الحجِّيَّة وخطِّ سيره. ولعلَّ أوَّل تلك الإشارات، ما ذكره هو نفسُه في مقدِّمة رسالته "تذكرة الغافلين"، قال: "إنَّ السَّبب في نظمنا هذه المنظومة المباركة، أنَّنا خرجنا من أوطاننا قاصدين حجَّ بيت الله، عازمين على سلوك طريق فاس؛ لأنَّه طريقنا وأقرب لنا إلى بلوغ مرادنا من غيره، وما يسَّر الله لنا ذلك الطَّريق لموانع حَصَلَتْ لنا فيه، وأدخَلَنا

---

[١] تاريخ السودان، ص٧٢؛ والفتاش، ص٣٢٩. يزعم ابن المختار أن اسم شريف مكة هو: "الشريف الحسني مولاي العباس". لكن استعراض سلسلة أسماء شرفاء مكَّة يؤكِّد للباحثين أنَّ شريف مكَّة في الفترة التي حجَّ فيها أسكيا الحاج محمَّد هو الشَّريف محمد بن بركات (٨٥٩-٩٠٣هـ) وليس لهذا الاسم الذي ذكره ابن المختار وجودٌ البتة بين شرفاء مكَّة، فكيف اختلطت تلك المعلومات المهمَّة على محمود كعت الذي ادَّعى النَّص أنَّه كان من أعيان العلماء الذين رافقوا أسكيا في سفره للحج؟

الله طريق السُّودان مع شدَّة كراهتنا ذلك؛ لكون أكثر أهل ذلك الطَّريق كُفَّارًا، وصِرْنا بفضله نمشي فيه بعزٍّ وكرامة (...) حتى أوصَلَنا بفضله بلاد حَوْس". (الفوتي، ٢٠١٤: ١٦١-٢٠٣)، فهو إذنْ، قد سلك "طريق السُّودان" دون "طريق فاس"؛ الذي هو طريقهم المعهود، ذاكرًا بلُطف أنَّ هذا السُّلوك كان اضطراريًّا، وأنَّه كان كارهًا له. لكن السَّبب الذي ذكَرَه، محلُّ نظر؛ إذ إنَّ "المناطق الكافرة" آنذاك على طريق السُّودان كانت ضيِّقة.

هذا، وفي الفقرات الآتية استعراضٌ للمحطَّات الأساسيَّة لرحلة الشَّيخ عمر.

أوَّلاً: طريق الذِّهاب: سلك الشَّيخ عمر الطَّريق العَرَضيَّ من ماسينا إلى بلاد هَوْسا، ومنها سلك الطُّرق الوسطى، وبالتَّحديد طريق غدامس.

(١)ماسينا: كانت إمارة "دينا" بماسينا المحطَّة الأولى للشَّيخ عمر بعد خروجه (حوالي ١٨٢٥م)، من مسقط رأسه بفوتاتورو، وبها نزل عند أمير المؤمنين الشَّيخ أحمد لوبو (ت١١٢٦هـ/١٨٤٥م)، بعاصمتها "حمدَ الله"، وحظي الشَّيخ عمر بعظيم الوفادة والإكرام عند الأمير، ولا شكَّ أنَّ هذه المحطَّة الأولى كان لها عظيم الأثر في إيقاد جَذْوَة الرُّؤية الإصلاحيَّة الدِّينيَّة والسّياسيَّة عند الشَّيخ عمر.وقد مكث بإمارة "دينا" شهرًا، ثم تابع سيْرَه.

(٢) حواضر إسلاميَّة أخرى: تشير الرِّوايات الشِّفاهيَّة المحليَّة إلى أنَّ الشَّيخ عمر قد مرَّ بحواضر إسلاميَّة عريقة بين ماسينا وبلاد هوسا، منها: بوبوجولاسو (بوركينا فاسو)، وكبونْغ (ساحل العاج)، والتقى بعلماء تلك الحواضر، وأخذ عن بعضهم، وأخذوا عنه. وبتأكيد المؤرِّخ إيفور ويلكسْ، فإنَّ الشَّيخ عمر قد مرَّ ببوبو جولاسو، وقرأ على الشَّيخ إبراهيم بن محمد سغَنُوغو (ت.١٨٢٥م)، وأنَّه شارك في بناء المسجد التَّاريخي بهذه البلدة الإسلاميَّة.(Wilks, I. 1966:16)

(٣) صكوتو عاصمة الخلافة: وصل الشَّيخ عمر مدينة صكوتو؛ فأكرم وفادته السُّلطان محمد بيللو، وكانت صكوتو آنذاك مثل إمارة "حمد الله" في طور التَّأسيس والازدهار، ولا شكَّ أنَّ الشَّيخ قد تأكَّد عزمُهُ على المشروع التَّجديديِّ بوفوده على السُّلطان بيللو الذي كان على علاقة جدٍّ وطيدةٍ بالأمير أحمد لوبو؛ إذ كان لوبو من تلامذة الشَّيخ عثمان دان فوديو والد السُّلطان بيللو، وكان يَعُدُّ إمارته امتدادًا لدولة الخلافة بصكوتو.

(٤) بورنو: من صكوتو واصل الشَّيخ طريقه إلى بورنو شمالاً، ونزل عند أميرها آنذاك الشَّيخ محمَّد الكانمي، ومكث هنالك حوالي شهرين، ثم تابع سيره نحو فزَّان، مرورًا بصحراء الطَّوارق، وقد جاءت إشارته إلى هذه المرحلة في قوله: "ثم وصلنا أرض التَّوارق، آهيرْ، سمعتُ أنَّ سيدي محمد الغالي في مكَّة المشرَّفة مجاورًا". (الفوتي، رماح، ٣٥٦).

(٥) مصر: من فزان، واصل الشَّيخ عمر سيره إلى مصر، وبالقاهرة لقي وكيل المغاربة الشَّيخ محمد المغربي الذي أكرمه وأنزله، وزوَّده بمن يصحبه إلى الميناء بالبحر الأحمر، وأبحر الشَّيخ حتى وصل جدَّة، وأحرم مع المصريِّين بالجحفة، ودخل البلدة المشرَّفة (ذي الحجَّة، ١٢٤١هـ).

تلك كانت محطَّات سير الشَّيخ الحاج عمر إلى الحجِّ، وهي كلُّها محطَّات حافلة بالنَّشاط السِّياسيِّ والعلمي على سواء؛ لكن -بحكم خروجه للحجِّ ورغبته في اللِّحاق بموسم الحج- لم يكن له أن يمكث

بتلك الأراضي إلاَّ بقدر الحاجة، وبتعبيره.. "فالمشتاق إلى بيت الله الحرام، وإلى سيِّد الكونَين، وأصحابه الكرام، وإلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين العظام، معذور".(الفوتي، تذكرة، ١٧٩).

ثانيًا: طريق العودة: سلك الشَّيخ الحاج عمر –تقريبًا– في عودته المسار الذي سلكَهُ في ذهابه للحجِّ، وبعد زيارته للشَّام والقدس بعد الحج، ومكثه ثلاث سنين بالمدينة النَّبويَّة، عاد بطريق مصر إلى فزان، وإلى ذلك أشار في مقدِّمة المنظومة السَّالفة الذِّكر بقوله: "ثم اعلَمْ بأنِّي نظمتها بين بلدٍ من بلاد فزَّان تسمَّى تِجْره، وبلاد تُبُّ، وأنا مشغول البال لمرضٍ شديدٍ نزل على أخي...".(الفوتي، تذكرة، ١٨١). ومن فزَّان وصل إلى بورنو. يقول في كتاب الرِّماح: "إنَّنا لما رجعنا من الحرمين، حتى بلغنا أرض برنو، وقع بيني وبين سلطانها اختلافٌ شديدٌ، وسعى في قتلي غدرًا...". (الفوتي، ٣٦١)، ومن بورنو وصل كانو، ومنها إلى صكوتو.

هذا، وتعدُّ المرحلة التي قضاها الشَّيخ الحاج عمر بصكوتو، المرحلة العمليَّة الحقيقيَّة لتكوينه السِّياسيِّ والفكري؛ إذ يُذكَرُ أنَّه قد شارك في القضاء، وفي مجريات الحكم وفي قيادة الجيوش المجاهدة بالخلافة الصُّكتيَّة، وأنَّه قد قام بمساعٍ دبلوماسيَّة ووساطاتٍ بين السُّلطان بيللو وبين بعض الإمارات المجاورة. فكان لسُكناهُ بين أظهُر أولئك القادة الأثر البالغ في استفادته من التَّجربة الإفريقيَّة السياسيَّة الحيَّة تنظيراً وممارسةً، وحافزاً نفسيًّا في الإقدام على برنامجه التَّغييري برباطة جأشٍ، ويقينٍ بالنَّجاح. كما أنَّه أصهر إلى أسرة دان فوديو، وكان لهذا الإصهار مكانته في توطيد عُرى العلاقات السياسيَّة بين الدَّولتَين. غادر الشَّيخ الحاج عمر صكوتو بعد وفاة بيللو بعد مكثٍ طال لحوالي سبع سنين (١٨٣١–١٨٣٧م). (David, R. 1990:245)

وصل الشيخ الحاج عمر مرَّة أخرى ماسينا، ومنها إلى مدينة سيغو.. "وصلنا أرض سيغو، وسعى بعض من لا خير فيهم في الإفساد بيني وبين سلطانها..."، (الفوتي، رماح، ٣٦١)، ومنها توجَّه جنوبًا إلى فوتاجالونْ، حيث كان مدرِّسًا في مقرأةٍ قرآنيَّة قبل خروجه للحجِّ، وبها كان إعداد جماعته الأولى، وقيام حركته الدَّعويَّة. بعد زهاء أربع سنواتٍ بفوتاجالونْ، والتفاف الطلبة والمريدين والأتباع حوله، غادرها إلى مسقط رأسه شمالاً بفوتاتورو (١٢٦٢هـ/١٨٤٦م)، بعد غيابٍ لحوالي عشرين سنة.

أمَّا تفاصيل حركته الدَّعويَّة، وجهاده وتأسيسه للإمارة الإسلاميَّة، فقد يطول ذكر ذلك، ويخرج بهذه الورقة عن هدفها الأساس، وهو بعدُ متوافِّرٌ في دراسات سابقة. (J. R. Willis, 2013; David, R. 1985)

على كلِّ حال، يتجلَّى أنَّ حركة الشَّيخ عمر الفوتي، كانت أكثر الحركات الدَّعويَّة الجهاديَّة تأثُّرًا بحركة الشَّيخ دانْ فوديو، وأكثر التصاقًا بها. ويبدو أنَّ استعجال الشَّيخ للعودة من الحجِّ، على خلاف العادة لدى العلماء الحجَّاج خاصَّة الشَّباب، كان لإنفاذ المشروع الدَّعويِّ الذي –يُحتَمَلُ أنَّه قد– وضع خُطَطَهُ الأولى بصكوتو عند جوازه بها. ثم إنَّ حركة الشَّيخ الفوتي تتميَّز عن الحركات الجهاديَّة الأخرى التي انْبثقت عن صكوتو، بالبنية العلميَّة التي قامتْ عليها الدَّولة العُمَريَّة، فهو –مثل الشَّيخ دانْ فوديو– قد نظَّر للدَّعوة ببلاد السُّودان الغربيِّ في بعض كُتُبه ورسائله، خاصَّةً في كتاب "المقاصد السَّنية لكلِّ موفَّق من الدُّعاة إلى الله"، وكتاب "رماح حزب الرَّحيم على نحور حزب الرَّجيم"، أكمله بصكوتو في رمضان

(١٢٦١هـ/١٨٤٥م)، وكتاب "سيوف السَّعيد". ففي تلك الكتب تنظيراتٌ لفقه الدَّعوة ومفهوم الهجرة ووجوبها في بلاد السُّودان، والعلاقة بين "دار الإسلام"، و"دار الكفر"، وأحوال المسلمين فيها، والقضايا المتعلقة بالجهاد وأحكام الولاء والبراء، وما إليها من النَّوازل التي كانت ببلاد السُّودان الغربي آنذاك.

كما تَبلْوَرتْ عنده –نظريًّا وتطبيقيًّا– رؤيةٌ سياسيَّة إسلاميَّة عميقةٌ مستلهمة من العهد النَّبويِّ. على سبيل المثال، أطلق على جماعته الذين انطلقوا معه إلى دِنْغراي، في المرحلة الأولى من دعوته، لقب (المهاجرون)، ولقب "الأنصار" على الذين لحقوا بهم أخيرا، (John, H. 1994:46) وأطلق اسم "طيبة" فيما بعد على حاضرة الدَّولة الإسلاميَّة التي تأسَّست على إثر هجرته تلك.

إجمالاً، فإنَّ حركة الجهاد التي قام بها الشَّيخ عمر الفوتي بفوتا، قد كانت حركةً عظيمةً منبثقةً عن الجهاد الصُّكتي، وقد كانت الظُّروف المحيطة بها، وكثرة أعدائها من الملوك المحليِّين، والإمبرياليَّة الفرنسيَّة تمثل تحدِّيًا كبيرًا لهذه الحركة. غير أنَّ المعيار الحقيقيَّ لهذه الحركة ينبغي أن ينصبَّ في نجاح الشَّيخ الفوتي في تأسيس إمارةٍ ذات طابعٍ إسلاميٍّ واضحٍ، وقائمة على أساسٍ تنظيريٍّ إسلاميٍّ قويٍّ كما الحال في الخلافة الصُّكتيَّة. وفي رأي الباحث إبراهيم سليمان أنَّ الشَّيخ الفوتي، وإنْ كان قد عوَّل على الخلافة الصُّكتيَّة في الفكر والتَّطبيق، فإنَّه قد خطَّ لنفسه طريقًا خاصًّا. يقول: "على الرُّغم من أنَّ أصول أفكاره قد نبعتْ عن الاحتكاك بالشَّيخ عثمان دان فوديو، وأنَّ حركتَهُ الجهاديَّة قد تأثَّرت كثيرًا –إنْ لم تكن قد تشكَّلتْ كليًّا– من خلال خبرته خلال السِّنين التِّسع التي قضاها بصكتو، فإنَّ الحاج عمر كانت له رؤيته الخاصَّة، وهي رؤية أعطتْ تميُّزًا لحركته الثَّوريَّة، وقد أودَع تلك الرُّؤى كتاب "رماح حزب الرَّحيم". (Ibrahim, S. 1987:27–28)

هذا، وقد كانت لحركة الشَّيخ الدَّعويَّة، ولجهاده النَّاجح أثرٌ مباشرٌ في قيام عدَّة حركاتٍ جهاديَّة دعويَّة ببلاد السُّودان، فمن الحركات التي انبثقت عن رحلة الحج والمرور بالطَّريق السُّوداني، متأثِّرة بحركة الشَّيخ الحاج عمر الجهاديَّة، حركة الشّيخ الحاج محمد الأمين صونِنْكي (al–hajj Muhammad Al–Amin Soninke)، خرج للحجِّ في فترة بدء جهاد الشَّيخ الحاج عمر، ومكث بالحرمَين زهاء عشرين سنة؛ للتَّفقُّه عاد بعدها إلى مدينة سيغو عاصمة الدَّولة العُمَريَّة آنذاك (١٨٨٠م)، مدَّعيًا أحقيَّته بخلافة الشَّيخ عمر، وقد كان لمروره بدولة الخلافة الصُّكتيَّة، وبإمارة "حمد الله" تأثيرٌ واضحٌ في حركته الإصلاحيَّة، وتأجيج روح التَّجديد في نفسه. وعلى الرُّغم من أنَّه لم يُفلح في تأسيس دولةٍ إسلاميَّة، فإنَّ الباحثين يؤكِّدون أنَّ حركته قد أثَّرت بعمقٍ في تاريخ المنطقة، وبتعبير الباحث هرْبيك، فإنَّ الشَّيخ الحاج محمد الأمين، "يُعدُّ في مصافِّ المسلمين الإحيائيِّين المجدِّدين على الرُّغم من ضآلة المعطيات التَّاريخيَّة عنه وعن حركته".(Willis, J.R, 211)

أيضًا، من الحركات المتأثِّرة مباشرةً بحركة الجهاد العُمَري، وبرحلة الحجِّ، حركة الشَّيخ الحاج الإمام أحمد ديمي الشَّهير باسم "الحاج ألْكاري" (=القاضي) ببلاد دافينْغْ بمنطقة فولتا العليا، وكان رفيقًا للشَّيخ الحاج محمَّد صوننكي في الحجِّ. وباشَرَ ذلك بحملةٍ دعويَّة بعد عودته من الحجِّ، وخاض معارك ضدَّ الإمبريالي الفرنسي، واستشْهَدَ في إحداها ببلدة بوسي (يونيو، ١٨٩٤م). (Myron, J. E. 1969:532)

خاتمة وتوصيات

لقد تمَّ في الورقة الحاليَّة رصد طرُق الحجِّ القديمة ببلاد السُّودان الغربيِّ، واتَّضح أنَّها كانت طرُقًا تجاريَّة قديمةً ظهرت قبل حوالي ألف عامٍ قبل الميلاد، وأنَّها –على كثرتها– تُصنَّف إلى صِنْفَين كبيرَين، هما: الطُّرق السَّاحليَّة والطُّرق الصَّحراويَّة. وقد جاء الإسلامُ بحضارته الرُّوحيَّة والماديَّة مُعزِّزًا لنشاط تلك الطُّرق برحلات الحجِّ والتِّجارة وطلب العلم والتَّلاقي بين العلماء.

كذلك، فإنَّ الورقة الحاليَّة قد رصدت المفعول السِّياسيَّ لشعيرة الحجِّ ورحلاته عبر الطُّرق المذكورة، وتوقَّفت عند الرِّحلات الحجيَّة الملوكيَّة الأولى ببلاد السُّودان الغربي، مثل رحلة يحيى بن إبراهيم الجدالي، ورحلة بَرْمَنْدانة، ومانسا موسى بمالي، ورحلات سلاطين سَيْفاوا بكانم وبورْنُو، فقد نتجت عن كلٍّ من تلك الرِّحلات إصلاحاتٌ وآثار سياسيَّةٌ عميقةٌ داخليًّا وخارجيًّا.

بعد ذلك، فإنَّ الورقة الحاليَّة قد توقَّفت عند رحلة الشَّيخ الحاج عمر بن سعيد الفوتي؛ بوصفها رحلةً حجيَّةً فذَّةً في التَّاريخ الإسلاميِّ بغرب إفريقيا أسفرت عن قيام إمارةٍ إسلاميَّة عُدَّت من كُبريات الكيانات الإسلاميَّة بالقارَّة، وقد كان للطَّريق الذي سلَكَهُ الحاج عمر الفوتيُّ من بلاد سنيغامْبيا غربًا حتى بلاد هَوْسا، إلى فزَّان، فمصر.. الأثر المباشر في تَبَلْوُر الرُّؤية السِّياسيَّة الواضحة عنده. بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ انْبثاقَ حركاتٍ إسلاميَّةٍ دعويَّة أخرى عن دعوة الحاج عمر، مثل: حركة جهاد الشَّيخ محمد الأمين صونِنْكي، والحاج أَلْكاري، تُعدُّ شهاداتٍ تاريخيَّة في قوَّة المفعول السِّياسيِّ لطرق الحجِّ بغرب إفريقيا.

بناءً على كلِّ ما مضى، فإنَّ هذه الورقة توصي بطبع بحوث هذا المؤتمر القيِّم في موضوعه، ونشرها ما أمكن إلى ذلك سبيلاً. كما توصي جامعة إفريقيا العالميَّة بتشجيع ودعم أحد الباحثين في الدِّراسات العالية لتخصيص رسالته في هذا المجال على أن تكون دراسةً ميدانيَّة لمفعول الحجِّ وآثاره الباقية في طريقٍ معيَّن من طُرق الحجِّ بغرب إفريقيا.

مصادر ومراجع

- بيللو، محمد بن عثمان. إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، الفصل الثاني: في تحديد بلاد التكرور.
- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ضبط الأستاذ خليل شحادة، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
- السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران. (١٩٨١). تاريخ السودان، ترجمة وتحقيق: هوداس وبنوة، مدرسة باريس للألسن.
- الشكري، أحمد. الإسلام والمجتمع السوداني: إمبراطورية مالي، دبي: المجمع الثقافي.
- العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله. (٢٠٠٢). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: حمزة أحمد عباس، أبو ظبي: المجمع الثقافي.
- الفوتي، عمر بن سعيد. تذكرة الغافلين عن قبح اختلاف المؤمنين، تحقيق: آدم بمبا، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، عدد٨٨، صفر ١٤٣٦هـ/ديسمبر ٢٠١٤م.
- الفوتي، عمر بن سعيد. (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م). رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم، على هامش كتاب: جواهر المعاني. بيروت: دار الكتاب العربي.

REFRENCES:

- Adu, Boahen. (1962). "The Caravan Trade in the Nineeeth Century", *The Journal of African History*, III, No. 2.
- A.G. Hopkins. (1973). *An Economic History of West Africa*, Longman.
- Asante, M. (2007). *The history of Africa*. New York: Routledge.
- B.G. Martin. (2003). Muslim Brotherhoods in Nineteenth-Century Africa Vol.18, Cambridge University Press.
- Cheick Anta Diop. (1952). *l'Afrique Pre-Coloniale*, Paris, Ch :2.
- Collins, R. (1993). Problems in African History: The Precolonial Centuries, Markus Wiener Pub.
- David, Robinson. (1985). *The Holy War of Umar Tal: The Western Sudan in the Mid-nineteenth Century*, Clarendon Press.
- David, Robinson. (1990). *The Chronicle of the Succession``, An Important Document for the Umarian State``*, , Journal of African History, (Vol.31), UK.
- Ibrahim, Sulaiman. (1987). *The Islamic State Challenge of History*, Mansell Pub.
- Ivor, Wilks. (1995). "*Consul Dupuis and Wangara",* Journal of Sudanic Africa, Vol. (6).
- J. R. Willis. (2013). *In the Path of Allah: 'Umar, An Essay into the Nature of Charisma in Islam,* Routledge.
- J. Spencer Trimingham. (1952). Islam in West Africa, Oxford: The Claredom press.
- John, H. Hanson. (1994). "Islam, Migration and the Political Economy of Meaning: Fergo Nioro from the Senegal River Valley, 1862-1890", *The Journal of African History*, Vol. 35, No.1.
- John, Ralph W. (1979). Studies in West African History Vol.1, Psychology Press.
- Johnson, Marion. (1976). "The Economic Foundations of an Islamic Theocracy, The Case of Masina", *Journal of African History, xvii, 4.*
- Launay, Robert. (2004). Beyond the Stream: Islam and Society in a West African Town, Waveland Press, Incorporated.
- M. Cahilley, *et autres*. (1962). *Notes et Etudes sur l'Islam en Afrique Noire,* Paris : le CHEEAAAM.
- Matthew, D. F., *et al.*, (2008). Egypt. Lonely Planet.
- Muhammad D. Suleiman. (2001). The Hausa in Lokoja (1860-1966): A Study of the Evolution of a Migrant Community in the Niger-Benue Confluence, Gaskia.
- Myron, J. Echenberg. (1969). "Jihad and State-building in Late Nineteenth Century Upper Volta: The Rise and Fall of the Marka State of Al-Kari of Bousse", *Journal of African Studies*, No.3.
- Peter B. Clarke. (1982). *West Africa and Islam,* London: Edward Arnold.
- Wilks, Ivor. (1966). The Saghanughu and the spread of Maliki law, CADRB, 2.

الخريطة (١): بعض طرق التجارة القديمة بغرب إفريقيا.

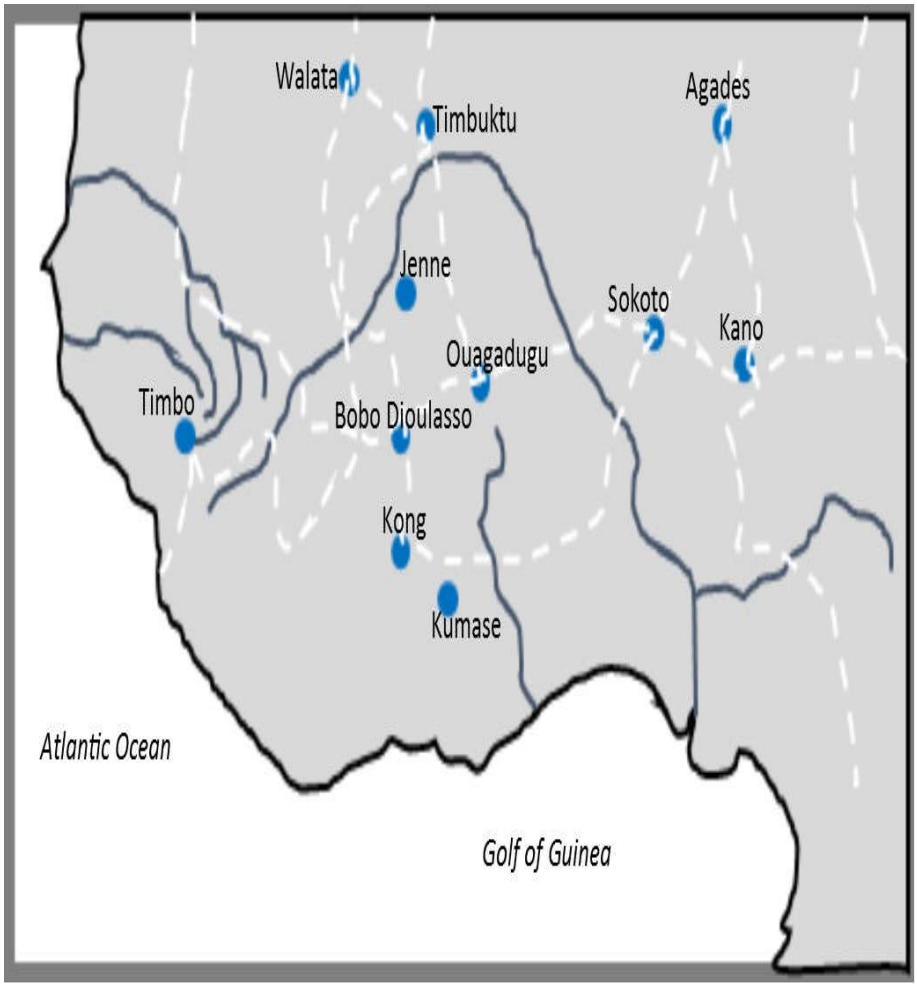

المصدر: A.G. Hopkins. (1973:59) تمت إعادة رسم الخريطة بترك بعض الطرق الدقيقة.